

وقعة صفين

[481] ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فنى فيه من العرب، فوا [لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط. ألا فليبلغ الشاهد الغائب، أنا إن نحن تواقفنا غدا إنه لفناء العرب وضیعة الحرمات (1). أما والله ما أقول هذه المقالة جزعا من الحتف، ولكني رجل مسن أخاف على [النساء و] الذراري غدا إذا فنيانا. اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل، وما توفيقني إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، والرأي يخطئ ويصيب، وإذا قضى الله أمرا أمضاه على ما أحب العباد أو كرهوا. أقول قولي هذا وأستغفر الله [العظيم] لك ولکم ". قال صعصعة: فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فقال: أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غدا لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلن (2) أهل فارس على نساء أهل العراق وذرائهم. وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهي. اربطوا المصاحف على أطراف القنا. قال صعصعة: فثار (3) أهل الشام فنادوا في سواد الليل: يا أهل العراق، من لذرارينا إن قتلتمونا ومن لذراريكم إن قتلناكم ؟ الله الله في البقية. فأصبح أهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح وقلدوها الخيل، والناس على الرايات قد اشتها ما دعوا إليه، ورفع مصحف دمشق الأعظم تحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح، ونادوا: يا أهل العراق، كتاب الله بيننا وبينكم. وأقبل أبو الأعور السلمي على برذون أبيض وقد وضع المصحف على رأسه ينادي: يا أهل العراق، كتاب الله بيننا وبينكم

(1) في الأصل: " الحرمان " صوابه في ح. (2)

في الأصل: " لتمكن " في هذا الموضع وسابقه، ووجههما ما أثبت من ح. (3) في الأصل: " فأمر " وصوابه في ح. (*)